بالسياق السردي وعلاقاتها المتشابكة، وهو الامر الذي يؤهلنا للقبض على حركتها الدلالية، ومدلولاتها العميقة.

تجيء الاشارات الدالة على البيت، ولا نقول الفقرات الواصفة، محمولة على ثلاثة أصوات: صوت الراوي، صوت حامد، صوت مريم، وعبر أي من الاصوات لا نجد استقلالاً، أو حضوراً موضوعياً للبيت ومحتوياته، فهو يتشكّل من خلال الاحداث ومشاعر الشخصيات وعلاقاتها، ففي الاشارة الاولى التي تجيء على لسان الراوي، نبدأ بالتعرف على شيء من مواصفات البيت ومحتوياته من خلال قيام الراوي بسرد الاحداث، والكشف عن مشاعر الشخصيات بعد أن «غادر آخر الضيوف» الذين حضروا عقد قران زكريا ومريم، وأغلق زكريا الباب، ولم يبق في البيت غير: حامد ومريم وزكريا، والراوي الذي يتجول في البيت، دون ان يراه أحد، مثلنا تماماً، ونحن ندخل عبر الاصوات جميعاً الى بيت مغلق الباب، يقول الراوي: «وحين غادر آخر الضيوف أغلق صهره الباب، وعاد كأن البيت بيته: خلع حذاءه وتمدد على المقعد، فبدا مجرد لطخة مصادفة في مكان غير مناسب. ثم تنهّد، وشبك كفيه وراء رأسه، وأخذ ينظر بارتياح مقيت الى أشياء الغرفة... ثم نهض كأن المقعد قذفه وأخذ يتجول في الغرفة ناظراً الى الارض»[٤٨]. ويقول الراوي، مستخدماً ضمير الغائب مثل ما سبق، ومشيراً هذه المرة الى حامد الذي قرر مغادرة البيت والمخيم والمدينة متجهاً عبر الصحراء الى حيث أمه في الاردن، يقول: «وأراد وهو يهبط السلم، ان يسمع أي نداء، ان يلحقه صوت مريم: «عد يا حامد!»... ولكنه لم يسمع الا أصوات خطواته وهي تخفق على السلم. وقبل ان يصل الرصيف صفق الباب وراءه...»[٤٩]. وتجيء الاشارة الثانية على لسان مريم، عبر تداعياتها، وعبر تداخل ضمائري، إذ تشير الى حامد بضمير الغائب، والى زكريا بضمير المخاطب، والى نفسها بضمير المتكلم، وهو التداخل الذي يعمّق انفلات التداعي ويقيم التوتر الدرامي والتشابك بين الاحداث والشخصيات والامكنة، تقول مريم: «وحين كنت اسمع خطواته تخفق مترددة فوق السلم حسبت أنه سيعود، وكنت ممزّقةً بينه، هو الماضي كله، وبينك، أنت ما تبقى لي من المستقبل... ثم خطوت وصفعت الباب فأغلقت كل شيء. ومضيت الى الغرفة الاخرى»[٥٠]. وفي إشارة ثالثة نعرف شيئاً أساسياً عن علاقة حامد بأمّه، وفي سياق الاشارة الى غياب حامد نعرف شيئاً عن المادة التي صنع منها باب البيت، تقول مريم: «لو كانت أمي هنا لكان لجأ اليها، للجأت اليها أنا، لقلنا كلمة واحدة عنه، لما تركنا لدفتي الباب الخشبيتين أن تمحواه محواً من هذا البيت بمجرد انغلاقهما»[٥١]. وفي إشارتين رابعة وخامسة، نعرف، من خلال تداعيات مريم، وعبر سياق الحدث وتطوراته ان حامد حين عاد الى البيت، بعد حادثة مقتل سالم على يد الضابط الاسرائيلي خلف الجدار في البناء المهدم، قد دخله هادئاً وجافاً، وجلس عاضّاً على شفتيه وهو ينظر الى مريم «ثم نهض ودخل الى المطبخ»[٥٢] وأبلغاها من هناك: «لقد قتلوا سالماً اليوم وغداً قد يجيء دور أي منّا»[٥٣]. فتلحق به مريم الى المطبخ ثم تخرج وتمضي «الى الشباك». وفي إشارة أخيرة عن المكوّنات الهندسية للبيت من الداخل، نعرف ان ثمة ممراً يصل بين المطبخ والغرف الاخرى، وتجيء معرفتنا هذه في لحظة بالغة التوتر، هي برهة من الزمن تنطوي على كثافة درامية تشي بفعلٍ درامي بالغ الحدة، وذا أثر تحويلي على الشخصية وعلى السرد الروائي وعلى السياق الحدثي بأسره، لأنه الفعل الذي ينهي هذا السياق، ويبلغ به ذروته الاخيرة فيعود لاضاءته من جديد، كاشفاً عن الشخصيات على نحو كامل ونهائي. تقول مريم: «مضت الساعة البعيدة المعلقة أمام السرير تدقّ، فتعبر الممر وتدخل الى المطبخ حيث كنّا نقف وجهاً لوجه صبيحة عرسنا»[٥٤].

نذهب الى اعادة بناء هذه الاشارات المتناثرة، فنعثر على بنية هندسية للبيت على النحو